

الحياة والماديين والروحيون

أنشأ الاستاذ غرام سوك الايركي مدرس علم الفسيولوجيا في مدرسة بيل الطبيّة مقالة رنانة في الحياة وما يراه فيها الماديون وما يراه الروحيون فاجاد وافاد حيث اورد الحقائق على وجهه يطابق ما اقرّ عليه الاوّلون وبدل على صحة ما يقوله الآخرون فاخترنا تلخيصها في هذه المقالة افادةً للذين يطلبون التوسع في امثال هذه المباحث ويجيبون ان يحيطوا بها علمًا من وجوبها

قال ارسطو ان كل ما في العالم مادة متكيّفة باريح كفيات او بنصفه باريح صفات البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة فاذا انصفت بالبرودة واليبوسة ففي التراب. او بالبرودة والرطوبة ففي الماء. او بالحرارة والرطوبة ففي الهواء. او بالحرارة واليبوسة ففي النار. فالاجسام كلها من مادة واحدة وانما يختلف بعضها عن بعض بقدر ما فيه من تلك الكيفيات او الصفات. وذهب ارسطو وغيره من المتقدمين الى امكان اتصال هذه الصفات عن المادة ومفارقة لها. وزعم الكيماويون قديمًا انهم اذا زعوا صفة من هذه الصفات عن الزئبق او اضافوا اليه صفة ليست فيه حوّلوه الى ذهب فزعم زعمهم هذا انما ظواهر. وعلى ذلك ايضا زعموا ان الحياة كنيّة او قوة تكون في الجسم وهو حي وتنفارقة عند موته وسموها بالقوة الحيويّة

فلما قام جالينوس في القرن الثاني بعد المسيح بنى طبعه على قول ارسطو فذهب الى ان الانسان مادة ذات كيات او صفات فاذا صحت نسبة بعضها الى بعض فيه حصلت له الصحة واذا اخلت النسبة اعتراه المرض. وجعل مدار علاجه على استرجاع الكنيّة التي فقدت منه فاذا اعتل من برده وضعه في الماء الحار واذا اصابته الحمى وضعه في الماء البارد وزعم فان حلعت في اوائل القرن السابع عشر ان في بطن الانسان روحا اذا اكل وشبع طاب نفسا واذا لم يجد ما يطيب له ابتلى من حو فيه بالالم فاذا لم يترضه ولم يطيب خاطره سحقه وخرج منه مفضبا فيموت الانسان بمخروجه منه. واغرب من هذا الرأي الغريب ان باراشلوس تابعة عليه

اما اليوم فكل ذلك القديم قد تغير ولم يبق من يقول ان المادة يمكن ان تجرد عن صفاتها العامة او ان تلك الصفات يمكن ان تنفارق المادة وتقوم برأسها بل قد اجمعوا على ان صفات المادة العامة لازمة لها ولا انفكاك لها عنها اذ هي من نفس جوهرها وبثوا

آراءهم في العلم على هذه الحقيقة وقد بطل ما زعموه من ان الحياة قوة حيوية تكون في الجسم وهو حي وتفارقة عند الوفاة اذ الاحياء وغير الاحياء من بيت وجدار مركبة كلها من مواد واحدة خاضعة لتواميس طبيعية ونوايس كيميائية واحدة غير ان احوال الواحدة تختلف عن احوال الاخرى فتختلف ظواهرها باختلاف تلك الاحوال

هذا هو الرأي المادي في الحياة وقد اخناره العلماء دون غيره ولاكتشافات كثيرة حملتهم على اختياره . من ذلك اكتشاف هارفي لدورة الدم سنة ١٦١٦ فقد اثبت ان القلب يدفع الدم الى الشرايين على مبداء دفع الفضة للعاء كما هو معلوم . واكتشاف شينر اليسوعي لارتسام صور المراتب على العين فقد اثبت ان العين تفعل فعل الخزانة المظلمة عند المصورين فتجمع بلورتها صور الاشباح على شبكيها كما تجمع بلورة الخزانة المظلمة صور الاشباح على الحاجز الذي وراءها . ثم جاء كبلر الشهير فاثبت ان العين آلة بصرية من كل وجه يبحث في العيون . واكتشاف بورلي لكيفية حصول التنفس بمرونة الرئتين وقفل العضلات على الاضلاع على مبداء فعل القوة على العتلات كما هو معلوم . واكتشاف لانفوازيه الكيماوي لكيفية حصول الحرارة الحيوانية من انحلال المركبات الكيماوية العليا في الطعام الذي يقنات به الحيوان كما تحصل حرارة الشمعة المنقذة مثلاً من احتراق المركبات الكيماوية التي تتركب الشمعة منها . فاكتشاف هذه الحقائق دلالة واضحة على ان اعضاء الجسم الحي تعمل اعمالها طوعاً للنوايس الطبيعية كالات التي لا حياة لها . والذي يتوسع في علم الكيمياء يجد الادلة المديدة على انه لا فرق بين الحي وغير الحي في الصفات ولا في النوايس الطبيعية المتسلطة عليها كليهما فبعض الاحشاء مثلاً يحول النشا الى سكر في البدن والكيماوي يحول النشا الى سكر في المعمل الكيماوي كما يحول في البدن

وذهب لانفوازيه في اوائل هذا القرن الى ان تركيب المركبات الآلية لا يتم الا في الجسم الحي اذ لا بد لتكوين هذه المركبات من الحياة او القوة الحيوية بخلاف المركبات غير الآلية ولذلك تختلف المركبات الآلية اخلاقاً جوهرياً في صفاتها عن غير الآلية . فلم يرض على مذهبه هذا الا القليل حتى افسده فولكر الكيماوي سنة ١٨٢٨ باكتشافه كيفية عمل البوريا في معمله . والبوريا مركب آلي كما لا يخفى فتركيبه في المعمل الكيماوي بلا قوة حيوية قطع دليل على ان المركبات الآلية لا تحتاج الى قوة حيوية في تركيبها وبالتالي انها لا تستلزم وجود القوة الحيوية خلاقاً لما ذهب اليه لانفوازيه . وقد ركب

الكيمويون كثيراً من المركبات الآلية بعد ذلك كتركيبهم السكر من الكربون والهيدروجين والأكسجين على نحو ما يركب النبات والحيوان ولا يرتاب احد اليوم انهم لا بد ان يركبوا كل المركبات الآلية التي تركب في اجسام الاحياء من نبات وحيوان على تبادي الزمان وقال آخرون ان المواد الآلية تختلف في صفاتها عن المواد غير الآلية بدليل كونها اسرع من غير الآلية انحلالاً. فردوا عليهم بان الالبومين من المواد الآلية يبقى السمين الطوال بلا انحلال بخلاف يوديد الفضة الذي يكسو زجاجة المصور فانه ينحل في النور باسرع من ملح البصر. فلا فرق بين الآتي وغير الآتي والحي والجماد في موادها وصفاتها والباحث يرى لاول وهلة ان الحي معظمه ماء والماء غير آلي وانه لا يتخارجي من املاح وان الآتي وغير الآتي يحويان البلورات وقد بلوروا زلال البيض. وبالاجمال فليس بين الآتي وغير الآتي حد فاصل جامع لكل انواع الواحد مانع لكل انواع الآخر بل انهما كليهما خاضعان لنواميس طبيعية واحدة والتميز بينهما وضعي لا طبيعي.

وخلاصة ما تقدم ان الحي وغير الحي لا يختلفان في موادهما بل في ترتيب تلك المواد. ولا يخفى ان ايسر جسم يتألف الحي منه هو الحويصلة وعلى فعل الحويصلة نتوقف الحياة وفي الحويصلة اجتمعت الاحوال اللازمة لها. فاذا بحثنا عن ترتيب المواد في الحويصلة وجدناه مختلفاً عن ترتيبها في الجماد لان كل الدقائق في قطعة النحاس مثلاً متشابهة متماثلة بخلاف دقائق الحويصلة فانها مختلفة من كل وجه. ووظائف الحويصلة المميزة لها في الجسد حل المواد التي يأتيها الدم بها. وتتركب كل حويصلة من مواد آلية وغير آلية وهذه المواد مركبة من عناصر بسيطة هي الكربون والهيدروجين والاكسجين والنيتروجين والكبريت والنففور والكور والبوديوم والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنسيوم والفور والسليكون والحديد فكل عنصر من هذه العناصر لازم للحياة اذا عدمه الجسم الحي كان عدمه موتاً له لا محالة.

ومعلوم ان كل حي من الاحياء العليا يتألف من حويصلات لا يحصى عددها اما الاحياء الدنيا من احيوان ونبات فقد يكون الحي الواحد منها حويصلة واحدة لا غير ومن هذه الحويصلة الواحدة او هذه الحويصلات المنفردة حصلت الاحياء كلها في العالم على مذهب النشوء والارتقاء. ورب قائل يقول ان كانت الحويصلة هي اصل كل الاحياء فما اصل الحويصلة نفسها وكيف حصلت في الابداء. تقول ان الانسان لم يشاهد حادثة من الحوادث التي حصلت فيها الحويصلة من غير حويصلة وبعبارة اخرى انما لم نرَ حياً حصل

من غير حي وكل ما قيل عن تولد الحي من غير الحي من تلقاء نفسه باطل لا يعول عليه. وما تقدم يتضح ان اصل الحويصلة غير معلوم بالمشاهدة والتجربة ولذلك فغاية ما يقال عند مبني علي النرض والاستدلال . والذي انتهت اليه اقوال العلماء من هذا القبيل هو ان الحويصلة الحية انما حصلت عند استتباب الشروط والاحوال المناسبة لحصولها ولما كانت هذه الشروط والاحوال غير معلومة لنا ولا هي تشاهد الآن فلا بد انما طرأت وتمت في زمن من الازمان الخالية حينما كانت حال الارض على غير ما هي عليه اليوم . فنتج الحي من غير الحي حيثنذر

اذا ثبت ان الحياة تترقف على فعل كل حويصلة من الحويصلات وانها هي نتيجة افعال الحويصلات التي يتألف الجسم الحي منها ثبت ان تعيين مقر مخصوص للحياة في ضرب من المحال فقد قال قوم ان الدم مقر الحياة في الجسد ولكن الدم انما هو السائل الذي ينفذ الجسد . وقال آخرون ان القلب مقر الحياة ولكن القلب انما هو العضو الذي يدفع الدم في الجسد . وقال آخرون ان الخناع المستطيل مقر الحياة ولكن الخناع المستطيل هو محل المركز العصبي الذي يتولى امر التنفس . وقس على ذلك سائر ما قيل عن مقر الحياة اذ ليس للحياة مقر معين من الجسد لانها نتيجة فعل كل عضو من اعضاء الجسد كالتقدم وما زاد الداهبين الى وجود القوة الحيوية تمسكا بذهبهم هو ان كل حي يموت توها منهم ان الموت يستلزم وجود هذه القوة وانها لا يمل الا على تقدير وجودها . والواقع انه يعلل على المذهب المادي اتم تعليل وذلك ان الانحلال ملازم للاجسام على الدوام في الحياة وفي المات ولا فرق هناك في الحالين الا ان الاجزاء المتحللة تعزل عن البدن في الحياة وتبقى فيه في المات فتم حويصلات واحدة فواحدة وتحولها من حال مستوفية لشروط الحياة الى حال غير مستوفية لتلك الشروط ونتيجة ذلك عدم الحياة اي الموت فيرى القارئ ما مر به ان ما اتصل اليه رجال العلم في بحثهم هو ضد ما اتصل اليه الهندي الاميركي عند رؤيته الساعة لأول مرة فانه ظنها جسما حيا كالحيوان واما رجال العلم فيعدون الحيوان اليوم آلة كالساعة . هذا هو القول المادي في الحياة وقد تابعنا فيه الماديين على تعليلهم ووافقتهم على الحقائق التي يوردونها لاثبات رأيهم في الحياة . ولكن العاقل لا يجاري الذين يصلون الى هذه الغاية ثم يابون ان ينظروا الى ما بعدها كأن العقل لا يستطيع ان يتصور وجود النفس او الروح وراء ذلك كله والحال ان تصور ذلك ليس باعسر من تصور امور تعرض للعلماء كثيرا في ابحاثهم كما سيجي

اما النفس (وهي مرادف الروح في هذه المقالة) فانما يتعرض العلماء لما عند بحثهم عن فعل القوة العاقلة اي الفكر ففريق يطل الفكر تعليلاً مادياً محضاً فيقول ان الفكر نتيجة انحلال المادة او احتزاز دقائق الدماغ كما ان الصوت والحرارة والنور كلها احتزاز او تموج في الهواء والاثير . وفريق يطل الفكر تعليلاً روحياً فيقول ان الفكر هو احتزاز في دقائق الدماغ خاضع لسلطة عامل آخر هو النفس او الروح . فالفنس لا يمكنها ان تحدث شيئاً من لا شيء ولا تستطيع ان تحدث الفكر الا من دقائق الدم التي تخل في الدماغ . فمذ انها قولاً الماديين والروحيين في النفس على ان الماديين يعتقدون ان رأيهم لا يطل كل انفعال العقل تعليلاً واثياً بخلاف تعليل الروحيين فانما اذا سلنا بوجود النفس سهل علينا تعليل كل الافعال العقلية بها . اما وجود النفس فلم يقم عليه برهان علمي يثبت اثباتاً قطعياً مثل اثبات الاشياء الحسية او الاحكام الرياضية مثلاً ولكن وجودها ثابت باللزوم والاستنتاج كوجود الاثير

وليان ذلك تقول ان من المادة ما هو ذو ثقل يقبل الوزن ومنها ما لا يقبل الوزن فيقال انه بلا ثقل . فلو وضعنا جسماً تحت قابلة من الزجاج وفرغناها من الهواء تقريباً تاماً فقد فرغناها من الهواء الذي له ثقل وكما لم تفرغها من مادة اخرى لاثقل لها هي الاثير ودليلنا على وجود هذه المادة التي لا ندرکها بجواسنا الخمس اننا نرى الجسم الموضوع تحت القابله بعد تفرغها من الهواء فان رؤيتنا له انما تتم بانتقال امواج النور منه على جسم آخر حتى تصل الى اطراف العصب البصري المنتشرة على مؤخر العين وتعرف بالشبكة تهتز دقائقها وينقل هذا الاهتزاز على دقائق العصب المذكور حتى يصل الى مركز البصر في باطن الدماغ حيث يتم الشعور بالنور ويرى الناظر المرئي . فهذا الجسم الذي تنتقل عليه امواج النور هو الاثير والعلماء يستنجون وجوده استنتاجاً كما تقدم ويقولون انه مالي في الفضاء كله مع انهم لم يزنوه ولا ادركوا وجوده بحاسة من حواسهم الخمس . وعليه فاحتجاج وجود الاثير انه لازم لتعليل امور لا تعال الا به ولو لم يقم برهان علمي على وجوده وهكذا يقال في النفس فانه اذا مات الانسان خرجت روحه منه وبقي الجسد ولكنه لا يمحى شيئاً من وزنه لان الروح لا تقبل الوزن . وقد قدمنا ان الاثير يتصل بالشبكة اي اطراف العصب البصري فما المانع اذا من اتصال النفس باللياف الدماغية وحوصلاته حيث يتم التعقل والادراك وما المانع من ان يكون هناك اثير روحي يحيط بالناس من كل جانب كما يحيط الاثير بالاجسام من كل جانب فتنتقل على هذا الاثير

الروحي التأثيرات والكرامات من السموات الى روح الانسان ومنها الى عقله . وهذه التأثيرات والكرامات يشعر بها كثيرون من المتدينين وتشد فيهم كثيراً من حين الى حين . وعليه فحكم بوجود النفس او الروح لتعليل ما لا يعلل بغيرها كالاتي ولو لم نستطع ان نقيم البرهان العلمي على وجودها كما لا نستطيع ان نقيمها على وجوده

اذا اتضح ذلك نأخذ في ايضاح غيره ما يقوله المؤمنون عن الروح فلا يخفى ان الانسان يدرك كل ما في الخارج بواسطة حواس الخمس فيتسع بها عقله ويزيد ادراكه ومن يراقب كيفية ذلك يعلم ان الطفل يولد وهو قد اكتسب من بطن امه معرفة بعض الشيء ما يدرك بحاسة اللمس وان هذه المعرفة تزداد في يوم ما فيوماً ما بعد الولادة بلمسه جسده شيئاً فشيئاً ثم انه يحصل قوة السمع والبصر والذوق والشم وهذه الحواس الخمس تزيد كل يوم معرفة وتوسع عقله وتتقفه ولكنها كلها فاصرة قصوراً عظيماً فحاسة البصر لا ترى الا جانباً صغيراً من الطيف الشمسي ومعظمه يخفى عليها فهي لا ترى نصف الاشعة التي تأتيها من الشمس . وحاسة السمع لا تسمع الا اصواتاً محدودة بين حدين من العلو والاختناض ويفوتها سمع ما فوق الواحد وما دون الآخر من الاصوات التي لا يحصي عددها . وحاسة الشم والذوق قاصرتان جداً ايضاً وحاسة اللمس لا تشعر بدقائق الفبار التي تعد بالوف الالوف على كل قيراط مربع من الكف مثلاً

ثم ان الكون كله مواد متحركة وانما نشعر به بواسطة حركته وذلك انها تهتز دقائق اعصابنا المنتشرة اطرافها على الجلد او على مؤخر العين او على غيرهما من الاماكن التي تنصل بالحركة بها فينتقل هذا الاهتزاز على دقائق الاعصاب حتى يصل الى مراكز الحواس في الدماغ فنشعر حيث يدرك معناه . وعليه فكل ما نشعر به هو الحركة سواء كان في المرئي والسموع او في الملموس والشموم والمذوق اذ فينا اجهزة تقبل حركاتها وتقبلها الى بلطن الدماغ وتذكر معناها . غير ان هناك حركات اخرى لا نشعر بها ولا ندرکها كالمغناطيسية مثلاً وما ذلك الا لانه ليس لها في اجسادنا جهاز عصبي يتأثر بالحركة المغناطيسية كما يتأثر بحركة الاثير او الهواء مثلاً وقد يمكن ان يكون في هذا الكون انواع لا تحصى من الحركات التي لا تؤثر في اجسادنا مثل الحركة المغناطيسية فلا نشعر بها ولا ندرک وجود مصادرها

أفلا يمكن والحالة هذه انه بعد اتصال النفس عن الجسد وانطلاقها من حياها المادي يزول القصور من حواسها التي يمتورها القصور في الجسد وتصبح قابلة للتأثر

بمؤثرات لا تحصى مما لا يؤثر فيها الآن لحيولة الجسد بينها وبينه فتشعر حينئذ بتأثيرها وتدرك وجودها . اما هذه المؤثرات التي تأثر بها النفس في حياتها الجديدة بعد مفارقة الجسد فلا يراها منا احد وعلمها غير مقدور الانسان ما دام في الجسد ولكن مثل الانسان حينئذ مثل الذي يولد اعمى من بطن امه ثم ينشق الجراح عينه في شبابه بعد ان علم ما علم بجواسمه الأخرى فان علمه بما في الخارج يختلف اختلافاً عظيماً عن علم البصير ثم اذا فتحت عيناه وابصر كتاباً مثلاً فإنه لا يعلم ما هو حتى يلمسه بيده ويقرن الصورة القديمة المرسومة له في ذهنه عن طريق اللمس بالصورة الجديدة التي ترسم في ذهنه عن طريق البصر . فتتغير الصورة الاولى وتتغير ايضاً ما سواها من الصور . وهكذا يكون بعد الموت فان عين النفس تنفتح بعد انفصالها عن الجسد ترى ما لا يرى وتدرك ما يفوق طور الإدراك على الارض
والخلاصة ان رأي الماديين في الحياة لا ينافي ايمان المؤمنين ولا يضر بحقيقة الدين . انتهى

اولاد اليابانيين

اشتهر اليابانيون بحب اولادهم والميل الى ملاحظتهم ومداعتهم والفتن في تسليتهم حتى لقت بلادهم بنعيم الاولاد . وما فاقت به مدتهم سائر المدن ان خلقاً كثيراً من اهلها يعيشون يبيع الحلواء والدمى واللعب للاولاد فتراهم يطوفون الشوارع وحداناً وزرافات وعلى كتف كل منهم اناة على موقد يغلي فيه شراباً حلواً كالديس ويبدو نصب كثير ينفع فيه الديس نقاعات وابواقاً على صور واشكال تطابق ما يطلبه الطفل ويصنعها كذلك بخفة واتقان يسحر بها عقول الولدان ويسلمهم برهة من الزمان يسير لا يذكر من المال . او يعجن دقيق الارز ويصنعه على صورة ما يختاره الطفل من الخضر والازهار والاشجار ويلونه بالالوان حتى يشابه الطبيعي منها تمام المشابهة ويبعد للطفل بارخص الاثمان فيلبس به ثم يأكله . وكلما عيدوا عيداً او اقاموا احتفالاً في هيكل من الهياكل جعلوا للاولاد اعظم نصيب من البسط فيه فشرروا الرايات والاعلام على شرفات الهيكل وعلقوا اللعب والدمى واكثرها من كل ما يتهيج به الطفل ويسر خاطره . وتسليه الاطفال اول هم لهم في الاحتفال

وسى صار عمر الطفل مئة يوم اقام والداه له الافراح واهداه اليه الاقارب والاصدقاء اللعب والملابس واعطوه ما يسر من النقود وانواع الحلواء واذا كان